سميرة عزام في ذكراها الخامسة
دراسة في فنها القصصي *

الدكتورة نادرة جميل السراج

ما بين الثالث عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٢٧ والثامن من آب (اغسطس) سنة ١٩٦٧ اقل قليلا من اربعة عقود، هي عمر المرحومة القاصة الفلسطينية السيدة سميرة عزام . لكن الاديب والفنان الحق لا يقاس عمره بعدد السنوات التي عاشها يأكل ويشرب وينام كغيره من بني البشر ، وانما الذي يمنحه الخلود ويثري عمره ويستديم ذكراه هو الانتاج الذي خطه قلمه والاراء التي سجلت عليه ومنحت حياته قيمة وغنى وذكراه طيبا وشذى ، وبالاخص ما كان مطبوعا او منشورا من ذلك الانتاج وتلك الاعمال . وسميرة عزام خلفت بعد رحيلها خمس مجموعات قصصية واكثر من اثني عشر كتابا مترجما من الانجليزية الى العربية ، عدا ما اشرفت على ترجمته او راجعته من أعمال غيرها من الادباء والمترجمين..

انها لحياة خصبة خيرة معطاء ، لا نستغربها على فتاة خالدة طموحة بدأت كفاحها العملي وهي في السادسة عشرة من عمرها ، عندما مارست مهنة التدريس في بلدتها التي ولدت فيها ، مدينة « عكا » في شمال فلسطين . ورغم انها لم تكن مهيئة تهيئة تربوية كاملة — من حيث الشهادات العلمية والخبرة العملية — الا انها اثبتت جدارة ومقدرة كاملتين ، ودرست بالمراسلة وطالعت بنهم فرقيت بعد عامين الى وظيفة ناظرة للمدرسة التي بدأت بالتدريس فيها . واستمرت تعمل في مهنتها تلك الى عام الهجرة الفلسطينية أو عام النكبة ١٩٤٨ حين اضطرت الى النزوح مع عائلتها وأهل بلدتها وبقية مدن فلسطين .

لا شك ان الفترة التي ترعرعت فيها الفتاة الصغيرة البريئة « سميرة عزام » كانت متميزة بالحركة والغليان والقلق القومي والوطني على مصير البلاد الذي أصبح في خطر منذ أعطي ذلك الوعد المشئوم في الثاني من نوفمبر عام ١٩١٧ ، واجتاحت فلسطين الثورات المشهورة في الثلاثينات خاصة ، ثم الاربعينات على المستعمر البريطاني والطامع اليهودي ، وانتشرت أعمال العنف في ارجاء البلاد . أحست سميرة بما كان يدور حولها وما تنشره الصحف وتذيعه الانباء ، وتفكرت في كل ذلك بما لها من ذكاء وحدة ذهن وقوة ملاحظة تفوق سنوات عمرها ، فأخذت تعبر عما تحس به وما تفكر فيه وبدأت تعالج كتابة القطع الوجدانية والشعرية والقصص القصيرة ، وسرعان ما ظهرت في جريدة « فلسطين » بعض تلك القصص بتوقيع « فتاة الساحل » التي لم يكن الكثيرون يعرفون

* تود كاتبة البحث ان تشكر الاستاذ اديب يوسف حسن — زوج الفقيدة — على المعلومات القيمة التي بعث بها من بيروت ، وكذلك السيدة عبلا عزام — شقيقتها في القاهرة — على حديثها عن طفولة الفقيدة وبعض الذكريات .